(عيد النيروز)

دور يمضي ودور يجيء

ونحن نحتفل برأس السنة القبطية يحضرني قول الحكيم: "دور يمضي ودور يجيء والأرض قائمة إلى الأبد" (جا١:٤). حقاً هو عيد يمضي وعيد يجيء، سنة تمضي وسنة تجيء ومازالت الأرض، وليست السماء، هي القائمة فينا كما إلى الأبد. ألم يعلم سليمان عظيم الحكمة أن الأرض ستزول ولن تبقى إلى الأبد؟ نعم هو يعلم ذلك جيداً لكنه قصد بقائها فينا عوضاً عن السماء طالما بقينا خاضعين لأزمنة وأوقات.

التغير هو حال الإنسان والأرض من بعد السقوط: "مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال" (تك٨:٢٢). أما الله فهو: "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع١:١٧). إنه حال الكثيرين أن تخضع حياتهم الروحية لمواسم من برد وحر، صيف وشتاء، نهار وليل. فيا للعجب أن تصير التوبة كمثل "نزوة" تنفتح عليها شهيتنا الروحية في مناسبات مثل رأس السنة القبطية والميلادية!! يا للعجب أن نطلق على الصوم أنه "موسم" للتوبة!! يا للعجب أن نتحدث عن "نهضة روحية"!! يا للعجب أن تبقى أرواحنا في بيات شتوي كما في قبر خاضعة لمواقيت وأزمنة في أعياد وأهلة وسبوت لكي تقوم وتحيا في "طفرة" ثم تعود لما كانت عليه بإنتهاء تلك الأعياد!!

الأرض يحكمها الزمان أما السماء فليس فيها زمان بعد (رؤ١٠:٦). وإحدى صور الفساد التي دخلت إلى الإنسان بالسقوط هي خضوعه لهذا الزمان حيث صار مستعبداً للمواقيت والأزمنة. لقد انقسمت حياته وتشتتت بين ماضي وحاضر ومستقبل. وطالما وجد ماضي وجدت ذاكرة إلا أن هذه الذاكرة فسدت بداء النسيان. إنه نسيان إحسانات الله ومراحمه، نسيان وصايا الله الشافية، نسيان ضعف الإنسان وطبيعته، نسيان مكر الشيطان وخداعه. ولأن الله هو الطبيب الحقيقي العارف بفساد طبعنا فإنه أراد بتدبيره الحاني أن يعالجنا من داء النسيان هذا فوضع لنا أعياد تسميها الكنيسة "تذكارات". فالغرض العلاجي من تلك التذكارات هي شفاء ذاكرة الإنسان من خلال إلتحام أجزاء الزمان معاً بتحويل الماضي والمستقبل إلى حاضر.

يوجد فرق كبير بين الحدث والحالة. الحدث هو أمر خاضع للزمان يزول بزواله متحولاً إلى ماضٍ، أما الحالة فهي كينونة غير متغيرة حاضرة في كل حين. أكبر ضربة يضربنا بها عدو الخير هي أن نُخضع الروحيات للزمان فنعيش على مستوى الحدث وليس على مستوى الحالة. المحبة حالة، القيامة حالة، الحياة حالة، الحق حالة، النور حالة، التوبة حالة، الإتضاع حالة... أما أن نختزل هذه من وجود وكينونة إلى مجرد حدث يقع على نقطة من نقاط الزمان فإنها لا

تتعدى عندئذ مستوى السلوك الأخلاقي الذي يفنى بفناء الزمان. هذا هو اللبن لا الطعام القوي الذي للبالغين. هذا هو العشب والقش الذي سيحترق عند امتحانه بالنار، وليس الذهب والفضة والحجارة الكريمة التي ستبقى إلى الأبد (١كو٣:١٢)

فالآن أنظروا يا إخوتي أن يتحول العيد إلى حالة وليس إلى موسم. مسيحنا كيان فوق الزمان، ومتى اتحدنا به لا نعود بحاجة إلى تذكارات إذ نكون قد تحررنا من كل تقلبات وتغيير وصار هو نفس أنوفنا الذي به نحيا ونتحرك ونوجد.